



## العلاقة بين صلاح الدين ونور الدين زنكي

(٥٤٣ - ٥٦٩ هـ / ١١٤٨ - ١١٧٤ م)

د. غسان محمود وشاح (\*)

أ. محمد إلياس أبو مصطفى (\*\*)

### الملخص باللغة العربية

كانت العلاقات بين الأيوبيين ونور الدين محمود قوية ومتينة، وقائمة على الثقة المتبادلة بينهما، وكان أسد الدين شيركوه (عم صلاح الدين الأيوبي) الذراع الأيمن لنور الدين زنكي، وقاد ثلاثة حملات إلى مصر، وكان صلاح الدين مرافقاً لعمه أسد الدين في حملاته، وبعد الحملة الثالثة أصبح شيركوه وزيراً للعاضد الفاطمي في مصر، لكنه كان موالياً لنور الدين زنكي، وبعد وفاة شيركوه تولى ابن أخيه صلاح الدين الوزارة في مصر.

بعد وفاة أسد الدين شيركوه أصبح صلاح الدين وزيراً على مصر، وأقره العاضد في مصر وأقره نور الدين محمود، لكن هناك كان اختلاف في الرأي وبعض سوء التفاهم وقع بين نور الدين وصلاح الدين، وهذا وارد بين القادة، لكن الخطر الذي كان يحيك بعلاقة نور الدين مع صلاح الدين وجود بطانة مقربة من صلاح الدين تثير الفتنة بين صلاح الدين وأسد الدين، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، وكان لحكمة نجم الدين أيوب (والد صلاح الدين) دور كبير في إيقاف الفتنة قبل وقوعها.

(\*) رئيس قسم التاريخ والآثار في الجامعة الإسلامية بغزة

(\*\*) باحث في التاريخ الإسلامي



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تتميز العلاقة الشخصية بين القادة بالاتفاق حيناً والاختلاف حيناً آخر، وإذا كانت العلاقة بين قائدين سياسيين عسكريين أو سياسيين بالشد والجذب، فالاختلاف وارد بين القادة ليس بين أصحاب الرتبة الواحدة أو المستوى العسكري أو السياسي الواحد، بل يكون الاختلاف وارد بين السلطان ونائبه على ولاية ما، والاختلاف كان في الرأي والمشورة بين الصحابة، وليس عيباً أن يختلف قائدين أو زعيمين صالحين في الرأي، فهذا لا ينقص من قدرهما ومكانتهما بين الأمة، فالمهم أن يكون رأيهما واختلافهما في التنافس على قضية الأمة.

كانت العلاقة بين البيت الأيوبي والبيت الزنكي علاقة متينة وقوية، وقائمة على الثقة والمحبة، فكان الزنكيون يثقون بأبناء شاذي الكردي أي نجم الدين أيوب وشركوه وأبناؤهما، أما العلاقة بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي كانت علاقة ملك مع نائب، فكان نور الدين زنكي الزعيم الذي يشعر بالخطر الذي كان يحاك بالأمة، مثل الخطر الصليبي، والخطر الفاطمي في مصر، وكان له آراء معينة لصالح الأمة، فاتفق القائدين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي على أشياء بسيطة مثل الخلاف الذي وقع بينهما حول الإسراع في إنهاء الدولة الفاطمية، فكان نور الدين زنكي يرى ضرورة الإسراع في إيقاف الخطبة للفاطميين، وتحويلها للعباسيين وأما صلاح الدين فقد كان يرى التمهيل في هذا الأمر، وكان الخلاف عندما حاصر نور الدين قلعتي الكرك والشوبك فكانت من النقاط التي اختلف عليها الرجل، ومهما وصل الخلاف بينهما فقط كانت الثقة موجودة رغم وجود أطراف تحاول زرع الفتنة بين الرجلين، لكن إرادة الله سبحانه وتعالى كانت موجودة لتوقف الفتنة بين الرجلين العظيمين.

## أهم أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١. إبراز العلاقة بين السياسية بين نور الدين زنكي وصلاح الدين.
٢. قلة الدراسات التي تتعلق بالعلاقات السياسية بين الملوك ونوابهم.
٣. ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع على الرغم من أهميته الكبيرة.



## أهمية الدراسة:

١. تحذر الحكام المسلمين من الوقوع في الخلافات والفتن.
٢. توضح دور الأيوبيين في تعزيز قوة الدولة الزنكية.
٣. إبراز التنافس بسن نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي في إنقاذ الأمة الإسلامية.
٤. بيان دور نور الدين زنكي في تعزيز مكانة الأيوبيين خاصة صلاح الدين الأيوبي.
٥. استنتاج الدروس والعبر من العلاقة الشخصية والسياسية بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي.

## حدود الدراسة:

## أولاً: الحد المكاني:

تركز الدراسة على مصر وبلاد الشام، في عهد الدولة الزنكية.

## ثانياً: الحد الزمني:

تركز الدراسة على الدولة الزنكية في عهد نور الدين زنكي (٥٤٣ - ٥٦٩ هـ / ١١٤٨ - ١١٧٤ م).

## منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

## معيقات الدراسة:

من العقبات قلة المعلومات الخاصة عن العلاقة بين نور الدين محمود وبين صلاح الدين الأيوبي، وقد تغلب الباحث على هذه المشكلة بالرجوع إلى التفاصيل وبين سطور المصادر التاريخية، للحصول على معلومة قصيرة.

## أولاً: التعريف بنور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي

## ١- نور الدين زنكي:

إن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وكان كثير من الصحابة يختلفون في الرأي والمشورة، كما أن الفقهاء والعلماء اختلفوا في التفسير، واختلف كثير من القادة



العسكريين في الخطط، هذا الاختلاف الإيجابي الموجود بين العظماء كان ليس بغرض الحسد والتنافس للحصول على السلطة والترقية، بل لخدمة الدين الإسلامي والمسلمين، وهكذا كانت العلاقة بين نور الدين زنكي ونائبه على مصر صلاح الدين الأيوبي فكان الاتفاق ينبع من ولاء النائب صلاح الدين لقائده نور الدين، وكان اختلاف كل منهما قائم على أن كل من القائدين يرى رأيه هو الصواب، وأحياناً كان الاختلاف يكون من وجود فئة تحاول زرع الفتنة بين الرجلين العظيمين، لكن إرادة الله سبحانه وتعالى كانت موجودة لإفشال الإيقاع بين الرجلين العظيمين نور الدين وصلاح الدين.

محمود بن زنكي بن آق سنقر أبو القاسم بن أبي سعيد قسيم الدولة التركي الملك العادل نور الدين وناصر أمير المؤمنين، كان جده آق سنقر قد ولاه السلطان أبو الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان على حلب وغيرها من بلاد الشام، ونشأ أبوه قسيم الدولة زنكي بعد جده آق سنقر في العراق، وندبه السلطان محمود بن محمد ابن ملك شاه بن ألب أرسلان برأي الخليفة العباسي المسترشد بالله لولاية الموصل والبلاد الشامية بعد مقتل آقسنقر البرسقي وموت ابنه مسعود، فظهرت مهاراته الدبلوماسية والعسكرية والسياسية، ورفع راية الجهاد ضد الأعداء<sup>(١)</sup>.

كان والده قسيم الدولة عماد الدين زنكي قد حاصر دمشق مرتين فلم يتيسر له فتحها، لكنه نجح في تحرير الرها والمعرة وكفر طاب وغيرها من الحصون الشامية من أيدي الصليبيين فلما انقضى أجله، نقل في تابوت إلى قلعة جعبر عام ٥٤١هـ=١١٤٧م، قام ابنه نور الدين محمود مكانه، ومولد نور الدين محمود في ١٧ شوال سنة ٥١١هـ= ١٣ نوفمبر سنة ١١١٧م وكان نور الدين محمود يقف إلى جانب والده يدافع عن راية الإسلام، واستمر بعد توليه الحكم واتخذ من حلب مركزاً له، ولما استتب له الحكم شرع في قتال الصليبيين، وحرر العديد من الشامية من الصليبيين، وعمل نور الدين على تعزيز قدراته الحربية تدريجياً، تمهيداً لتطهير بلاد الشام من الصليبيين، كما أنه بدأ يوحد الجبهة الداخلية الإسلامية، وبذل نفسه وماله في سبيل الله<sup>(٢)</sup>.

كان نور الدين يقرب الفقهاء والعلماء، ويستمع للمتظلمين، وينصف المظلومين، حرصاً على إقامة العدل، وكان نور الدين محمود يقدم الصدقات للأيتام والفقراء، ويقف بجانب المرضى والمجانين، وخصص لهم الأطباء، كما أنه قدم رعاية خاصة للمعاقين خاصة العميان، واهتم نور الدين بالعمران والمساجد والمدارس، واهتم بالحرمين في مكة والمدينة، وأنشأ نور الدين الربط والخانقاوات والبيمارستانات



والخانات، وشيد الطرق والجسور، إذن كان نور الدين محمود بن زنكي رجل دولة حقيقي، فكان مجاهد وعالم وقاضي<sup>(٣)</sup>.

## ٢- صلاح الدين الأيوبي:

هو صلاح الدين بن أيوب بن شاذي بن مروان هو من أصول كردية، وولد في مدينة تكريت العراقية في سنة ٥٣٢هـ=١١٣٨م، أصبح له مكانة كبيرة بين المسلمين بعد شهرته، ترعرع صلاح الدين في البيت الزنكي، كان مرافقاً لعمه أسد الدين شيركوه في ثلاثة حملات إلى مصر بأمر من نور الدين محمود زنكي، وبعد وفاة نور الدين توحدت الجبهة الإسلامية وأصبح صلاح الدين يحكم بلاد الشام ومصر واليمن ومناطق الفرات، وأنجب ١٧ ولداً، وبنياً واحدة، وأكان أكبرهم الأفضل نور الدين علي، توفي صلاح الدين ولم يترك في خزانته سوى ٤٧ درهماً عام ٥٨٩هـ=١١٩٣<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً: قدوم الأيوبيين إلى الزنكيين

كان نجم الدين أيوب وأخيه شيركوه<sup>(٥)</sup> ابنا شاذي، من بلدة بلودين من أذربيجان<sup>(٦)</sup>، وأصلها من الأكراد الروادية<sup>(٧)</sup>، وهم أشرف الأكراد فقدا العراق وخدمات مجاهد الدين بهروز، فرأى من نجم الدين عقلاً وافرأ وحسن سيرة وكان نجم الدين أيوب أكبر من أخيه شيركوه فجعله مستحفظاً لقلعة تكريت، فسار إليها ومعه أخوه شيركوه فلما انهزم أتاك الشهيد زنكي بن آقسنقر بالعراق من قراجا الساقى، سنة ٥٢٦هـ=١١٣٢م وصل منهزماً إلى تكريت فخدمه نجم الدين أيوب، وأقام له السفن فعب دجلة هناك وتبعه أصحابه فأحسن أيوب إليهم، ثم قام شيركوه بقتل رجل من تكريت لمشلكة كبيرة وقعت بينهما، فأخرجهما بهروز<sup>(٨)</sup> من القلعة فسارا إلى الشهيد زنكي فأحسن إليهما، وعرف قدراتهم وحسن إدارتهم وأقطعهما أقطاعات متميزة فلما ملك قلعة بعلبك جعل أيوب أميناً عليها، فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبك وهو بها فضاق عليه الأمر وكان سيف الدين غازي بن زنكي مشغولاً عنه بإصلاح البلاد فاضطر إلى تسليمها إليهم فسلمها على أقطاع ذكره فأجيب إلى ذلك، وصار من أكبر الأمراء بدمشق واتصل أخيه أسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكي وكان يعمل في جيشه أيام والده فقربه نور الدين وقدمه ورأى منه شجاعة نادرة فأضاف له حمص والرحبة وغيرهما وجعله قائد جيشه فلما أراد نور الدين ملك دمشق جعله أميراً على الجند فراسل أسد الدين شيركوه أخيه نجم الدين أيوب الموجود في دمشق، وطلب منه المساعدة على فتحها، ولبي نجم الدين طلب أخيه أسد الدين شيركوه، وسهل له



مهم الاستيلاء على دمشق، وبعد هذه العملية أصبح أسد الدين أعظم أمراء الدولة الزنكية في عهد نور الدين<sup>(٩)</sup>.

### ثالثاً: مرافقة صلاح الدين لأسد الدين الحملة الثانية

عندما انتهى أسد الدين شيركوه من الحملة العسكرية الأولى إلى مصر وقتال الصليبيين، عاد الصليبيين للهجوم مرة أخرى على مصر، فاستنجد الوزير الفاطمي شاور بنور الدين زنكي، وكان نور الدين يلبي طلب الجهاد والنجدة بسرعة بدون مقابل، لكن أسد الدين شيركوه اقترح على نور الدين محمود استغلال وضم مصر لإكمال توحيد الجبهة الداخلية الإسلامية؛ وتحرير باقي المدن الشامية من الصليبيين وعلى رأسها بيت المقدس، وكان أسد الدين يلح بشدة على الملك نور الدين محمود، وبعدما اقتنع نور الدين زنكي بكلام أسد الدين، وافق على طلبه وأرسله إلى مصر في ربيع الأول سنة ٥٦٢هـ = يناير ١١٦٧م، وكان أسد الدين شيركوه قد اصطحب ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، وعندما وصل أسد الدين إلى مصر أقام بها نيفاً وخمسين يوماً، وأستنجد شاور بالفرنج، وأطمعهم في مصر، تجهز شاور بجيش كثيف مع الصليبيين لقتال أسد الدين، وكان أسد الدين متردداً، لكن تقدم أحد أمراء نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب قلعة الشقيف، وكان بطلاً شجاعاً، فقال من يخاف القتل والأسر فلا يخدم الملوك، بل يكون في بيته مع امرأته، والله لئن عدنا إلى نور الدين من غير غلبه وبلاء نعدن فيه ليأخذن أموالنا وما معنا من الإقطاع والجامكية (الرواتب) وليعودن علينا ما يجمع ما أخناه منه ومن يوم خدمناه إلى يومنا هذا»، وقال أيضاً: «تأخذون أموال المسلمين وتفرون عن عدوهم وتسلمون مثل مصر إلى الكفار»، فقال أسد الدين: «هذا الرأي وبه أعمل»، وهنا برز موقف صلاح الدين وأيد كلام الأمير شرف الدين برغش، وشدد نور الدين على ضرورة قتال الصليبيين وعملائهم<sup>(١٠)</sup>.

أستعد الجيشان للقتال وقد وضع أسد الدين الأثقال والفرسان المهرة في القلب، والأهم وضع ابن أخيه صلاح الدين يوسف قائداً على القلب، وأنتصر جيش نور الدين ببسالة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، ثم توجه أسد الدين على الإسكندرية وضمها، ووضع صلاح الدين رئيسياً على قلعتها، ولكن الصليبيين وجيش شاور عادوا للقاهرة وسيطروا عليها، ثم توجهوا إلى الإسكندرية وفيها صلاح الدين، وحاصروها حصاراً شديداً من البر والبحر، وهنا بدأت خبرة صلاح الدين تكتسب من هذا الحصار، وبدأ نضوج القائد الحقيقي، فقد اكتسب خبرة كبيرة بالرغم من المعاناة



الشديدة أثناء الحصار عليه، وقام أسد الدين شيركوه باتخاذ خطة قوية ومفاجأة للصليبيين، فقد توجه بالقرب من القاهرة متظاهراً بحصارها، فأضطر الصليبيين لفك الحصار عن الإسكندرية، ودارت مفاوضات بين أسد الدين وشاور، وعرض شاور على أسد الدين خمسين ألف دينار، بشرط منع الصليبيين من الإقامة في مصر، فوافق شاور، وتم الصلح وعاد شيركوه إلى دمشق في ذي القعدة عام ٥٦٢هـ / ١١٦٧م إلى قائده نور الدين زنكي مظفراً<sup>(١١)</sup>.

#### رابعاً: مرافقة صلاح الدين الأيوبي لعمه شيركوه للذهاب إلى مصر

بعد توحيد نور الدين زنكي للجبهة الداخلية الشمالية، بعد ضم دمشق، وفشل الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م، بدأ ي حشد كافة الموارد البشرية والاقتصادية والثقافية، لتعزيز قوة الجبهة الشمالية، وبعد أن شعر الصليبيين بقوة الجبهة الشمالية توجهوا نحو مصر؛ بسبب ضعف الدولة الفاطمية، التي كانت بمثابة «الرجل المريض» وكان نور الدين مستعداً لقتال الصليبيين في أي مكان، وكان الصليبيين يفكرون في الاستيلاء بسرعة على مصر؛ بسبب النزاع بين شاور وضرغام على الحكم، وفي نفس الوقت كان نور الدين يرى أن الدولة الفاطمية انتهت وكان التوجه السني في الشام والعراق يرى في نور الدين زنكي المخلص من هذه الدولة وإعادة مصر للحضنة السنية العباسية<sup>(١٢)</sup>.

عندما استعد أسد الدين شيركوه للتوجه إلى مصر أضاف نور الدين زنكي معهم مجموعه من كبار الأمراء حتى يساعده منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، لكن صلاح الدين كان كارهاً للخروج مع عمه أسد الدين إلى مصر، وقد طلب منه أسد الدين أن يتجهز للخروج فقال له صلاح الدين: «والله لو أعطيت مُلك مصر ما سرت إليها فلقد قاسيت بالإسكندرية وغيرها ما لا أنساه أبداً»، وعندما وجد أسد الدين رفض ابن أخيه صلاح الدين التام للخروج إلى مصر، طلب من نور الدين أن يضغط عليه وقال: «لا بد من مسيره معي فتأمر»، وعندما تجهز أسد الدين لبداية المسير توجه نور الدين إلى صلاح الدين وقال له: «لا بد من مسيرك مع عمك» فقبل بالأمر وأطاع سيده نور الدين، لكن قلبه كان كارها للخروج<sup>(١٣)</sup>.



### خامساً: وزارة أسد الدين شيركوه على مصر

بعد مقتل شاور، تم توكيل أسد الدين شيركوه بالوزارة في مصر، ولُقب بالملك المنصور أمير الجيوش، وتوجه إلى دار الوزارة التي كان بها شاور<sup>(١٤)</sup>، وأحكم أسد الدين سيطرته على البلاد وأقطع عساكره الشاميين لمصر، وقام بتوكيل ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى مباشرة كثير من الأمور، وأصبح لصلاح الدين كلمته على الجند والناس في مصر، وأكتسب خبرة سياسية وعسكرية عالية من مرافقة عمه أسد الدين<sup>(١٥)</sup>.

### سادساً: وفاة أسد الدين شيركوه، وتولي صلاح الدين الأيوبي مكانه

توفي أسد الدين شيركوه فجأة بعد أن إصابته بمرض شديد في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة عام ٥٦٤هـ، ١١٧٢م، وكانت وزارته شهرين وخمسة أيام، وفوض في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين بعده، واستقرت قواعد الحكم واستتبت الأحوال في مصر على أحسن نظام، وقد أستخدم صلاح الدين سياسة جديدة؛ لاستقطاب الجيش لصفه، فقام بتوزيع الأموال على الأمراء والجند، فملك ولائهم، وأصبح صاحب نفوذ قوي في مصر، وأصبح جاداً ومجتهداً في كل شيء، واهتم صلاح الدين بالفقه والتصوف والمذهب السني، وكان الذي دفع الخليفة (الفاطمي) العاضد على تثبيت صلاح الدين مكان عمه في ظل التنافس على منصب الوزارة، هو اعتقاد العاضد أن صلاح الدين ضعيف وليس له أنصار، لكن صلاح الدين بعد توليه الوزارة قوى شوكته وأشترى ولاء الأمراء بالمال والاقطاعات<sup>(١٦)</sup>.

### سابعاً: دور صلاح الدين في امتداد الحكم الزنكي لمصر

شرع صلاح الدين في تنظيم أمور مصر السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأحسن إلى الفقراء، وقد كسب صلاح الدين ولاء الأمراء النورية (أتباع لنور الدين زنكي)، وأمراء مصر الفاطميين، ووفر لهم ما يحتاجونه من الأموال، مما جعلهم يبتعدون عن منافسته في ولاية مصر<sup>(١٧)</sup>، وكان لصلاح الدين موهبة دبلوماسية نادرة، لم تكن عن أحد غيره من أمراء المسلمين، ومن أبرز الأعمال التي توفق بها قيامه بالتخلص من العناصر الزنجية العاملة في جيش الفاطميين؛ لعدم اطمئنانه إلى ولائها، وكان مدركاً للخطر الصليبي في بلاد الشام<sup>(١٨)</sup>.





## ثامناً: العلاقة الرسمية بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي

كان صلاح الدين منذ توليه الوزارة بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه يدين بالولاء التام للملك العادل نور الدين، ويخطب له في مصر ويخطب للعاقد معه، وكانت سياسة صلاح الدين حكيمة في مصر وقد أحبه الناس في مصر، وكان نور الدين يقدر جهود صلاح الدين وسياسته الإصلاحية في مصر، وكان نور الدين يخاطب صلاح الدين في رسائله ويعظم شأنه وكان يكتبه بالأمير الأسفيسار، كما كان يخاطب عمه أسد الدين، وتدرجت الأمور إلى أن أصبح ولاء الناس لصلاح الدين أكثر من العاقد الفاطمي، وأصبح صلاح الدين هو الحاكم الفعلي لمصر<sup>(١٩)</sup>.

يمكن القول أن نور الدين زنكي كان راضياً عن صلاح الدين بشكل كبير، وكان يثق به لذلك طلب منه الخروج معه عمه في الحملة الثالثة إلى مصر، وكان موافقة صلاح الدين على المشاركة بعد طلب نور الدين يدل على الطاعة التامة لصلاح الدين لولي أمره نور الدين رغم أنه رفض طلب عمه وأستاذه أسد الدين.

أرسل صلاح الدين إلى الملك العادل نور الدين وطلب منه أن يرسل إليه إخوته، فلم يجبه إلى ذلك وقال: «أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد»، وبالتزامن مع هذه الرسالة كان الصليبيون يستعدون للهجوم على مصر، فأرسل نور الدين الجيش؛ لتعزيز القدرات العسكرية عند صلاح الدين، كما أنه أرسل معهم أحد أخوة صلاح الدين وهو شمس الدولة تورانشاه<sup>(٢٠)</sup> بن أيوب، وكان الأخير أكبر من صلاح الدين، وقبل توجه شمس الدولة تورانشاه قال له نور الدين: «إن كنت تسيير إلى كنت تسيير إلى مصر وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد فلا تسر، فإنك تفسد البلاد، وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه، وإن كنت تنظر إليه أنه صاحب مصر وقائم فيها مقامي، وتخدمه بنفسك كما تخدمني، فسر إليه واشدّد أزره، وساعده على ما هو بصدده» فقال تورانشاه: «أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل إليك إن شاء الله تعالى»، وقد التزم تورانشاه بما أوصاه نور الدين<sup>(٢١)</sup>.

من خلال ما سبق يستنتج أن نور الدين زنكي كان حذراً في التعامل مع الأيوبيين ولم يكن خائفاً منهم، وكان لا يريد اجتماعهم، حتى تكون خبراتهم موزعة في مصر والشام، ويمكن القول بأن نور الدين كان حكيماً في تعزيز علاقته في البيت الأيوبي، حيث كان يعتمد عليهم في حملاته العسكرية وقيادته جيوشه، لكن ما تحذيره لتوران شاه شقيق صلاح الدين، كان صائباً؛ حتى لا يفرق الشيطان بينه وبينهم.



## تاسعاً: الاختلاف بين نور الدين وصلاح الدين حول السرعة في القضاء على الدولة الفاطمية

كتب نور الدين زنكي إلى صلاح الدين الأيوبي، أمراً طلب فيه قطع الخطبة عن الخليفة العاضد الفاطمي، وإقامتها للخليفة العباس المستضيء بنور الله، وعندما وصلت الرسالة إلى صلاح الدين خاف صلاح الدين من وثوب أهل مصر ورفضهم تقبل الأمر، وكان متردد بشكل كبير من هذا الأمر، وكان أمر نور الدين بالاستعجال في تطبيق الأمر، وفي الحقيقة الخلاف بين صلاح الدين ليس لعصيان بل خوفاً من قيام الشعب المصري بالثورة على الحكم الزنكي في مصر، لكن الأمور انحلت بسرعة بعد قيام رجل أعجمي في مصر يعرف بالأمير العالم بتشجيع صلاح الدين وحثه على الإسراع في تطبيق أمر نور الدين، وقال الأمير العالم: «أنا أبتدئ بها» أي الخطبة، فلما كان أول جمعة من شهر محرم محرم سنة ٥٦٧ هـ ، سبتمبر ١١٧١ م صعد الأمير العالم المنبر، ودعا للخليفة المستضيء بنور الله، فلم ينكر ذلك أحد عليه، فلما كانت الجمعة التالية، أمر صلاح الدين بقطع خطبة العاضد بالفسطاط والقاهرة، وإقام الخطبة للمستضيء بنور الله، فلم يحدث أي معارضة من الشعب المصري، وانتظم الأمر، وكان مرض العاضد في ذلك الوقت قد اشتد عليه، وقد توفي العاضد في يوم عاشوراء، وجلس صلاح الدين للعزاء، ثم أستولى على قصر الخلافة، وعلى جميع ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والزمرد<sup>(٢٢)</sup>.

من خلال ما سبق يمكن القول أن الأمير العالم لعب دوراً مهماً في القضاء على فتنة كادت أن تحدث لولا شجاعته وتشجيعه لصلاح الدين بتطبيق أمر نور الدين زنكي، ولتأخر تطبيق الأمر لشك نور الدين في صلاح الدين.

## عاشراً: الخلاف بين نور الدين وصلاح الدين على قتال الصليبيين بعد القضاء على الدولة الفاطمية

وقع خلاف جديد بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي بعدما طلب نور الدين من صلاح الدين في عام ٥٦٧ هـ ، ١٧٧١ م، بالمسير إلى قلعة الشوبك، لتحريرها من الصليبيين، وكان نور الدين قد تجهز لتحرير قلعة الشوبك، لكن صلاح الدين كتب إليه رسالة يعتذر عن الوصول: لاضطراب أحوال مصر السياسية، بعد عزل العاضد، وكان بعض المقربين من صلاح الدين خوفوه وأدعوا أن نور الدين ينوي له الشر، فتوقفت حملة الشوبك، وفي عام ٥٦٩ هـ=١١٧٣-١١٧٤ م جرت مفاوضات بين نور الدين وصلاح الدين للاتفاق على فتح حصن الكرك والسيطرة عليه، وخرج صلاح الدين أولاً وبدأ في



الحصار، ولكن مع قرب وصول نور الدين حدث أمر مفاجئ لصلاح الدين وهو أن والده نجم الدين أيوب قد مرض مرضاً شديداً؛ فأضطر صلاح الدين إلى العودة إلى مصر<sup>(٢٣)</sup>، وقام صلاح الدين بعدها بفتح بلاد النوبة، وبرقة، واليمن، لتعزيز قوة المذهب السني التي تمثله الخلافة العباسية، وكانت حملة النوبة تهدف إلى تطهير النوبة والصعيد من بقايا الجند السودانيين<sup>(٢٤)</sup>.

كان نور الدين يخشى من تعاظم قوة صلاح الدين وخشي من استقلاله، وكان طلب نور الدين من صلاح الدين، مهاجمة الكرك الواقعة تحت الاحتلال الصليبي ومساندته في حصارها، وطلب نور الدين من صلاح الدين بعد التأخر وشد في الطلب، وأرسل صلاح الدين رده إلى نور الدين معتذراً لهد بعدم قدرته على القدوم لمساندته في قتال الصليبيين، وكان عذر صلاح الدين بعدم انتظام أحوال البلاد بشكل تام، وخشي أن يخرج من مصر فتعم الفوضى والاضطرابات بعد خروجه، وأخبره بنية الشيعة من الثورة على الحكم السني الجديد، ولكن نور الدين زنكي لم يقبل عذره وفي الحقيقة كانت حجة صلاح الدين أمام نور الدين ضعيفة، وأما عن السبب الحقيقي من تدرع صلاح الدين هو قيام أصحاب صلاح الدين وخواصه بتخوفيه من نور الدين<sup>(٢٥)</sup>.

في الحقيقة لم يكن لنور الدين أي نوايا تجاه صلاح الدين إلا عندما قصر صلاح الدين في تلبية طلب نور الدين زنكي في إسناده في حملة الكرك ضد الصليبيين، فقد أصبح الشك يساور نور الدين تجاه صلاح الدين، لذلك عقد النية على عزله عن ولاية مصر ولو وصلت الأمور لاستخدام القوة العسكرية<sup>(٢٦)</sup>.

يرى بروكلمان أنه كان طبيعياً أن يتطرق إلى نفس نور الدين الشك في صحة ولاء صلاح الدين له، خاصة بعد تعاظم قوة صلاح الدين واتساع سلطانه فلم يكفد الفرنجة ينسحبون من مصر حتى تطلع صلاح الدين إلى التفكير في قتال الصليبيين وفتح فلسطين، خاصة بعد سيطرته على ميناء أيلة على البحر الأحمر (جنوب فلسطين) كقاعدة لأعمال الفتح.

عقد صلاح الدين مجلس دعا فيه الأمراء وأصحابه وأقاربه ومنهم والده نجم الدين أيوب، وخاله شهاب الدين الحارمي، وابن أخيه تقي الدين عمر<sup>(٢٧)</sup>، وأخبرهم ما بلغه عن عزم نور الدين تجاهه، واستشارهم كيف يتصرف وكيف يرد على نور الدين، ورد تقي الدين عمر وقال: «إذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد» ووافق على هذا الرأي كثير من الأمراء ومن أقاربه، وفي ظل هذا الاجماع من قبل الأمراء وانباء البيت الأيوبي، وقف والد



صلاح الدين وهو نجم الدين أيوب وأنهى الفتنة قبل وقوعها بذكائه السياسي الواسع، وقال لتقي الدين: «أقعد» وشتمه ثم وجه الكلام لصلاح الدين وقال «أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك أتظن أن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا؟ فقال صلاح الدين: «لا» فقال نجم الدين: «والله لو رأيت أنا وهذا خالك شهاب الدين نور الدين لم يمكننا إلا أن نترجل له ونقبل الأرض بين يديه ولو أمرنا أن نضرب عنقك، حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد» وقال للأمرء الآخرين في الاجتماع «قوموا عنا ونحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد» فتفرقوا على هذا وكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر<sup>(٢٨)</sup>.

بناء على ما سبق يمكن القول أن نجم الدين أيوب كان حكيماً في أمور السياسة، ولديه فراسة كبيرة وهي التي أوقفت فتنة كبيرة وجديدة ممكن أن تصل بين رجلين عظيمين كنور الدين زنكي وابنه صلاح الدين، وإن وقوفه في المجلس أمام بعض خواص صلاح الدين الغير مخلصين له، والتحدث بكلام بين فيه ولاء البيت الأيوبي التام لنور الدين زنكي، أوقف فتنة وحرب كانت على وشك الحدوث بين الرجلين.

توفي نور الدين محمود بدمشق في شوال عام ٥٦٩هـ=١٥ مايو ١١٧٤م، وخلفه ولده الصالح إسماعيل، وكان عمره إحدى عشر سنة، وبايعه الأمرء والمقدمون بدمشق وأقام بها، وأطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر، وخطب له بها وضرب السكة باسمه وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وصار مدبر دولته، فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من أصحاب نور الدين «والمصلحة أن نشاوره في الذي نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجة علينا وهو أقوى منا لأنه قد انفرد اليوم بملك مصر» فلم يوافق هذا القول أهدافهم، وخافوا أن يدخل صلاح الدين ويطردهم فلم يمض غير وقت قليل، حتى وردت كتب صلاح الدين إلى الملك الطفل الصالح إسماعيل يعزيه ويهنئه بالملك، وأرسل دنانير مصرية عليها اسمه ويعرفه أن الخطبة والطاعة له كما كانت لأبيه<sup>(٢٩)</sup>.

**أحد عشر: العلاقات بين صلاح الدين في مصر والزنكيين في الشام بعد وفاة نور الدين زنكي**

لكن العلاقات السياسية ساءت بين القاهرة وحلب، وقد أستولى صلاح الدين على عدة مدن شامية مثل دمشق والرها وبارين وحمص وحمما، لكنه عجز عن الاقتراب من حلب؛ بسبب استعطاف الصالح إسماعيل للحلبيين، ضد صلاح الدين، وقد أظهر



الحلبيين شجاعة نادرة في القتال، أعجزت صلاح الدين، ولجأ سعد الدين كمشتكين بمراسلة سنان صاحب فرقة الحشاشين يستنجد به، وبذل له أموال، لاغتتيال صلاح الدين، وقد حاول الحشاشين اغتيال صلاح الدين ونجح أحدهم من الوصول إلى إليه، لكن الأمير طغرل أمير جندار تصدى له وقتله، وفي النهاية استطاع صلاح الدين تحقيق انتصارات على الزنكيين، وجاءت رسل من الحلبيين، يطلبون منه الصلح، ورحل عن حلب في شوال ٥٧٠هـ = ١١٧٥م، بعدما اتفق معهم على أن يأخذ من الشام ما

بيده فقط وجاءت رسل من الخليفة المستضيئ بنور الله تحمل التشرiftات السلطانية والتقليد الخلافي، بعدما طلب صلاح الدين ذلك، وأصبح صلاح الدين سلطاناً على مصر والشام<sup>(٣٠)</sup>.

كان الخلاف بين بعد وفاة نور الدين والبيت الزنكي حول توحيد الشام وكان صلاح الدين يسعى منذ ولايته على مصر، يسعى لتعزيز الوحدة بين مصر والشام، وكان هذا هدف نور الدين منذ البداية، وكان الرجلين يسعيان لتحرير الشام من الصليبيين، لكن وفاة نور الدين أتاح الفرصة لصلاح الدين حتى يتولى قيادة الأمة وتوحيدها تحت قيادته.

### الخاتمة ونتائج البحث:

أحمد الله على إتمام هذا البحث المتواضع وأهم ما جاء به من نتائج:

١. كان نور الدين زنكي يختلف مع صلاح الدين الأيوبي في بعض الأمور ويتفق معه في بعض الأمور، وكان اختلافهما في صالح الأمة.
٢. كان البيت الأيوبي يدين بالولاء التام للزنكيين وكانوا الذراع الأيمن لهم في الشام ومصر، وقد تقلدوا مناصب كبيرة في دولة نور الدين زنكي.
٣. ساهمت شخصية نور الدين في التأثير على البيت الأيوبي كثيراً، في كافة المجالات عسكرياً وفكرياً وسياسياً وأخلاقياً وعلمياً، وقد أكتسب الأيوبيين الكثير من الصفات الحسنة من نور الدين، وعندما وقع أسد الدين وصلاح الدين في مأزق الحملة الثانية في مصر، خجلا من نور الدين ونصراً للإسلام قاتلوا وانتصروا على الصليبيين وجيش شاور.
٤. أوقف صلاح الدين مع قائدته نور الدين محمود على القضاء على الدولة الفاطمية،



- لكن اختلفا على الوقت فكان نور الدين يرى بضرورة الإسراع بينما صلاح الدين كان يرى بضرورة التمهّل قليلاً.
٥. كانت ثقة نور الدين بالبيت الأيوبي كبيرة، فكان قد ولى معظم أبناء نجم الدين أيوب في الجيش والولايات، وكانت ثقته بصلاح الدين كبيرة فقد ولاه مكان عمه في الوزارة بمصر.
٦. أتفق نور الدين مع صلاح الدين على قتال الصليبيين، لكنهما اختلفا على التوقيت، فكان نور الدين يرى بضرورة الإسراع في استئصال الصليبيين، لكن صلاح الدين كان يرى ضرورة تهيئة الجبهة الداخلية وتعزيزها أكثر، وإتمام ملاحقة فلول الفاطميين، قبل قتال الصليبيين.
٧. بعد قضاء صلاح الدين على الدولة الفاطمية في مصر التف حوله في بداية الأمر بطانة كانت تسعى لإثارة الفتنة بينه وبين قائده نور الدين زنكي.
٨. كان وعي نجم الدين أيوب والد صلاح الدين كبير فقد كان يدرك أن بعض المقربين من صلاح الدين كانوا يثيرون الفتنة بين ابنه صلاح الدين وبين الملك نور الدين زنكي، فوقفه وتكلمه أمامهم أوقف الفتنة بين ابنه وبين نور الدين.
٩. بالرغم من الاختلافات البسيطة التي وقعت بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي إلا أنهما كانا يشعران بأن كل منهما يكمل الآخر، ولا يستطيع أحدهما الاستغناء عن الآخر في ظل الجهود لتوحيد الأمة الإسلامية وإنقاذها من التفكك.
١٠. بعد وفاة نور الدين قام صلاح الدين بحسم الأمر وقام بتوحيد الأمة تحت لواءه للاستعداد لتطهير بلاد الشام من الخطر الصليبي.

ثانياً: التوصيات: يوصي الباحث بما يلي:

١. أن تهتم المكتبات العربية والإسلامية، بجلب المصادر والمراجع التي تتناول العلاقات السياسية بين القادة السياسيين والعسكريين.
٢. عقد مؤتمرات للأكاديميين والباحثين؛ لتوعية العرب والمسلمين، شعوباً وحكاماً، حول الخلافات والفتن بين الزعماء والقادة المسلمين، والاستفادة من حكمة نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي في إنهاء الفتنة بين ابنه والملك العادل نور



الدين زنكي.

٣. ضرورة استفادة الحكام العرب والمسلمين، من العلاقة الشخصية والرسمية بين البيت الأيوبي والزنكي خاصة العلاقة بين نور الدين وصلاح الدين الأيوبي.

الهوامش

- (١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٧ ، ص ١١٨ ، ١١٩
- (٢) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٧ ، ص ١١٩ ، ١٢٠
- (٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٧ ، ص ١٢ ، ١٢١
- (٤) أبو الفداء: المختصر، ج ١ ، ص ٣٦٩
- (٥) قائد عسكري متميز في دولة نور الدين زنكي، كان شجاعاً وله هبة كبيرة، ترقى وأصبح قائد الجيش في دولة نور الدين زنكي، قاتل الصليبيين في عدة وقعات، وتوجه بأمر من نور الدين زنكي إلى مصر لإنقاذها من الخطر الصليبي، وحج في الناس عام ٥٥٥هـ=١١٦٠م، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٢٨٤
- (٦) يقول ابن المقفع أن أذربيجان سميت بهذا الاسم نسبة إلى باذرياذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام، ووتصل من الشمال مع بلاد الديلم، ومن أشهر مدنها تبريز، وهي بلاد تتميز بكثرة الفتن والقتال، الحموي: معجم البلدان، ج ٧ ، ص ١٢٨
- (٧) هم بطن من قبيلة الأكراد الهذبانية وهي من أشهر بطون القبيلة، وقيل أن على باب دوين قرية يقال لها أجدا الكردية، اليوناني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ، ص ١٤
- (٨) مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي، كان خادماً رومياً أبيض اللون تولى اقطاعاً بالعراق من قبل السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧ ، ص ١٤١
- (٩) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ، ص ١٦ : ينظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١ ، ص ٢٦٠ : الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٩، ص ٣١٠
- (١٠) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠ ، ص ٣ ، ٤
- (١١) ينظر ابن الأثير: الكامل، ج ١٠ ، ص ٤ ، ٥
- (١٢) قاسم، عبده قاسم وعلي، السيد علي: الأيوبيون والمماليك، ص ١٢-١٤
- (١٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ، ص ١٦ ، ١٧
- (١٤) هو أبو شجاع بن مجير بن نزار بن عشائر بن شأس بن مغيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة، ويصل الذهبي في نسبه إلى والد حليلة مرضعة النبي (ص) ولاة الصالح بن رزيك وزير العاضد العبيدي ولاية الصعيد الأعلى من ديار مصر، وقويت شوكة شاور في الصعيد، وعندما توفي الصالح بن رزيك أوصى بالوزارة لابنه العادل رزيك، فسرعان ما توجه ما تمرد شاور وأستولى على



الوزارة، وبعد توليه الوزارة ثار عليه الأمير أبو الأشبال ضرغام بن عامر، وأستولى على الحكم منه، فاستنجد شاور بنور الدين زنكي، وكانت نهاية شاور القتل عام ٥٦٤هـ، ينظر ابن خلكان، ج ٢، ص

٤٣٩ ، ٤٤٠

(١٥) أبو شامة: الروضتين، ج ٢ ، ص ٤٣

(١٦) أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ٤٧؛ ينظر حسين، حمدي: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك،

ص ٢٣، ٢٤

(١٧) أبو شامة: الروضتين، ج ٢ ، ص ٤٧

(١٨) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٥٢

(١٩) أبو شامة: الروضتين، ج ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٠

(٢٠) المعظم فخر الدين شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان، وكان أكبر من أخيه السلطان صلاح الدين، وكان صلاح الدين يكثر الثناء عليه ويرجحه على نفسه، ومن أبرز إنجازات تورانشاه بن أيوب هو ضم اليمن عام ٥٦٩ هـ تحت راية أخيه صلاح الدين الأيوبي، وتوفي

تورانشاه بن أيوب في صفر سنة ٥٧٦هـ، ابن خلكان وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٠٧

(٢١) أبو شامة: الروضتين، ج ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٠

(٢٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ، ص ٣٣ ، ٣٤: ابن خلكان وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان،

ج ٧ ، ص ١٥٧ ؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ج ١، ص ١٢٩

(٢٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٥ ، ٣٦

(٢٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ، ص ٤٥ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ج

٧ ، ص ١٥٧

(٢٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧ ، ص ١٦٣

(٢٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧ ، ص ١٦٣

(٢٧) عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، يتميز بجمعة بين السيف والقلم والبأس والكرم والشهامة

والخلق الحسن، وله كثير من الآراء الحسنة في المشورة، حيث أنه كان فطنا، ويساجل العظماء

ويجالس كبار العلماء، وكان ينظم الشعر، الأصهباني: خريدة القصر وجريدة العصر ، ج ٧ ، ص

٨١

(٢٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤

(٢٩) ابن الأثير: الكامل ، ج ١ ، ص ٤٨

(٣٠) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج ٢ ، ص ٣٨٨-٣٤٢





## The relationship between Salah El-Den and Nour El-Den Zenkki.

Dr. Ghassan Mahmoud Wishah  
Muhammad Elias Abu Mustafa

### Abstract:

The relationship between the Ayoubs and Nour El-Den Mahmoud was strong and solid, it was based on the trust they had for each other, Asad El-Den sherikoh (the uncle of Salah El-Den) was the right hand for Nour El-Den Zenkki, and he led three campaigns to Egypt, Salah El-Den was an escort for his uncle Asad El-Den in his campaign and after the third one Sherikkoh became the minister for the Khalifa Aded in Egypt, but he was loyal to Nour El-Den Zenkki, after the death of Sherikkoh, Salah El-Den took the ministry in Egypt. After the death of Aasd El-Den, Salah El-Den became a minister in Egypt, the khalifa Aded of Egypt approved along with Nour El-Den Mahmoud, but there was a disagreement and some misunderstanding between Nour and Salah El-Den, which is natural between the leaders, the real danger was the close liner close to Salah El-Den which spread rumors between both of them, but it didn't succeed in archiving its goals, the wisdom of Najm El-Den Ayoub (the father of Salah) had a great major it stop the fight before it happened.